افتتاحية العدد

Editorial

بقلم رئيس التحرير | By Editor

د. سعيد بنتاجر | Dr. Said Bentajar

تزامنت كتابة هذه الافتتاحية مع اليوم العالمي للفلسفة لهذه السنة، وهي مناسبة لنطرح السؤال عن قيمة الفلسفة في عالمنا العربي. ومع تعدد الأجوبة والتعاريف حول طبيعة الفلسفة إلى الحد الذي يجعلنا نيأس من الاتفاق على حد أدنى من تصورها، وهو أمر إيجابي بلا شك، ومع الطابع الانتقائي الذي يميز تعامل المتفلسفة عندنا مع الإنتاج الفلسفي العالمي وأخيرًا مع العجز أو العسر في الإبداع الفلسفي في ثقافتنا، نضطر إلى تكرار أسئلة قديمة حول فائدة الفلسفة أصلًا. وهي أسئلة وإن كانت مقبولة ومفيدة، إلا أنها تحتاج، هي نفسها، إلى تجديد في الصياغة باستحضار التطورات الهائلة التي مست الانشغالات الفلسفية المعاصرة وبالتالي مفهوم الفلسفة نفسه.

من المعلوم أن الفلسفة قد استثمرت أيديولوجيا وسياسيًا في عالمنا العربي والإسلامي، وقد أدى هذا الاستثمار إلى توجه انتقائي فرض علينا تصورًا نمطيًا للتفلسف، وكان هذا النموذج المقدم محل أخذ ورد دون الانتباه إلى أنه ليس إلا مثالًا من أمثلة متعددة ومتنوعة للفلسفة، من جهة؛ ودون الانتباه، أيضًا، إلى أن الفلسفة تشهد تحولات في الاهتمام والاستشكال والاستمداد والتعالق. والأصل أن عالم الفلسفة منفتح، إن لم نقل إنها عوالم وليست عالمًا واحدًا. وفي انتظار البيئة المناسبة للاستمداد المفيد منها والإبداع فيها، لا مناص من الاتفاق على الحاجة إلى الأخذ بالروح المشتركة في كل المناهج والأنظار الفلسفية وهو النقد. فالنقد الفلسفي، باختلاف أنواعه وقيمه، أمر يمكن الاستفادة منه في كل المجالات الفردية والجماعية، وهو حد أدنى مما يستفاد من الفلسفة منهج وأداة.

يمثل النقد، بمعناه الأصيل، تمييزًا للحق عن الزيف وكشف وإبراز للزيف والعيب في إطار المناقشة المتميزة بالأخذ والعطاء. ولذلك، لا يخاف كل طالب حق من التوسل بالنقد لبلوغ الحق، ولا يخاف النقد إلا من كان الزيف والتزييف ديدنه. ولو اشتط المرء في النقد، فلا يظهر شططه إلا نقد مضاد، وهكذا تزكو المعرفة وتتمايز الحقائق. وإذا لم نستفد من الفلسفة منهج التفكير النقدي، فلن تعدو الفلسفة أن تكون نصوصًا تستظهر ويتعصب لها ولأهلها؛ فلا المتفلسفة قد استفادوا منهج النقد وأعملوه في النظر والعمل، ولا أهل العلوم الأخرى وجدوا في الفلسفة ما تستحق عليه كل هذا الاحتفاء والتهويل. وبما أننا اعتبرنا النقد روح التفلسف، فقد يكون المرء متفلسفًا بقدر تلبسه بهذه الروح، حتى ولو كان يكتب في مبحث غير الفلسفة؛ ولن يكون المرء متفلسفًا إذا لم يكن ناقدًا ولو حفِظَ كل نصوص الفلسفة واستعرضها.

في هذا العدد، تختلف موضوعات مقالاته وتختلف المباحث المؤطرة لها. ولو تأملنا لوجدنا أن المشترك بينها هو الهاجس النقدي؛ ففي مقاله "التماس المطلق بين الشرط الروحاني والخواء العدمي"، الذي تولى فيه مقارنة بين تجربتي المتصوف المسلم النفري والفيلسوف الوجودي إميل سيوران، وأضمر الباحث "مصطفى العطار" نقدًا لطيفًا خفيًا للمسلك الفلسفي للفيلسوف في مقابل تفضيله لمسلك الصوفي. وقد بيَّن الباحث في هذه المقارنة أن وراء الاشتراك في صيغة الكتابة الشذرية بينهما وفي السعي إلى الانفصال عن الذات والعالم اختلاف في كل شيء، حتى ليتساءل المرء لماذا تجوز المقارنة أصلًا مع وجود الفارق البيِّن. وهو تساؤل استحضره الباحث باعترافه بعدم وجود أي تقاطع فلسفي بين ما عبر عنه العَلَمان. لكن هذه المقاربة، مع ذلك، تجربة فريدة في الكتابة بالنظر إلى أن موضوعها تجربتان غريبتان بالنسبة للقارئ العادي: غريبتان في كيفية عيشها وفي كيفية التعبير عنها. وفي هذه الأخيرة، تناول الباحث كيف نُظِر إلى عدد من المفاهيم البارزة، مثل المطلق والإله والذات والتصوف والعالم والولادة والحرية والحقيقة، من زاويتين متباعدتين متعاندتين، إحداهما تنظر من لحظة الولادة أو ما قبلها والأخرى من زاوية الوقفة إزاء الحضرة الإلهية.

وفي مقابل النقد الموجه إلى التفلسف من زاوية دينية، يحضر النقد الفلسفي السافر اتجاه نمط من التبرير اللاهوتي للإيمان، في الدراسة التي خصصها الباحث "عبد الصمد السباعي" في دراسته الموسومة بـ"نقد اسبينوزا للاهوت الفلسفي"، واستعرض فيها الباحث

مفاصل في النص السبينوزي النقدي اتجاه الفلاسفة اللاهوتيين أصحاب القول بتأسيس الإيمان على العقل، خاصة نقده لابن ميمون ويهوذا الفخَّار. وقد انتهت الدراسة إلى بيان أن نقد سبينوزا للاهوتيين تمثل في ذم اعتمادهم مناهج عقلية في تفسير الكتاب، ومحاولة استخلاص عقائد إيمانية منسجمة مع العقل ومع بعضها البعض، وكذا تلك الثقة العمياء في نصوص الكتاب التي قد تؤدي إلى إلغاء العقل أمام سلطة هذه النصوص، داعيًا إياهم إلى التزام المنهج الإيماني في تفسير عقائد الكتاب المقدس وفهم نصوصه. وهي دعوة لم يلتزم بها هو نفسه؛ لأنه لم يكن لاهوتيا. وقد اتخذ الباحث في هذه الدراسة بدوره موقفًا نقديًا إزاء النقد السبينوزي.

وفي مقاربة أخلاقية قديمة للفلسفة، يحضر في هذا العدد تحقيق ودراسة لنص "في صفة الرجل الفيلسوف" لصاحبه الفيلسوف والمنطقي أبو الخير الحسن بن سوار(ابن الخمّار)، وقد أحسن الباحثان عادل سالم عطية جاد الله ومحمد مجدي السيد مصباح تحقيق هذا النص ودراسته بما يستحقه الأمر من اهتمام وانتباه وبحث. مدار المقالة على الشروط الأخلاقية التي يجب أن يتصف بها الفيلسوف وقد استعرض فيها ابن الخمار صفات أخلاقية لازمة للفيلسوف وهي طلب الحق والصدق وطلب اللذة العقلية والأمور الإلهية والإنسانية والبعد عن اللذات الحسية والأمور الدنيوية والزهد والسخاء والإنسانية والحرية والقيام بالواجب جليله وخسيسه، ومن صفاته أيضًا الانقطاع عن أهل المدينة وأمورها، وهذا هو الأصل عنده، أو إن كان ولا بد للفيلسوف من التمدن أن يصاحب الخاصة من أهل المدينة من ذوي العقول الفائقة والأكابر والأشراف فقط، وإن امتهن أن يمتهن الزراعة، فهي أولى بالفيلسوف من غيرها.

وفي تكريس لقيمة النقد على المستوى الثقافي، يراجع الباحث "عمر عبد الرازق شاهين" في مقاله "تفكيك الخطاب المهيمن عن المرأة المسلمة: قراءة في أعمال ليلى أبو لغد" المشروع النقدي لليلى أبو لغد إزاء الخطاب النسوي في عالمنا العربي، من خلال قراءة في عدد من أعمالها من زاويتين: منهجية وتأسيسية. ركزت القراءة المنهجية لأعمال أبو لغد على الأساس المنهجي الأنتروبولوجي الذي تصدر عنه؛ إذ إنها، في نظر الكاتب، قاربت موضوعاتها، وخاصة تلك المتعلقة بالشرق الأوسط والعالم العربي، من زاوية النقد الثقافي ما بعد الاستعماري الذي أسس له إدوارد سعيد، بغاية إعادة رواية التاريخ بمعزل عن التمثل والخطاب الغربي المركزي المهيمن، وتطبيق ذلك على الخطاب النسوي في

الشرق الأوسط، بالسعي إلى الكشف عن المصادرات والخطابات الغربية في الكتابات الأنثروبولوجية التي تدعي العلمية وفهم حقيقة المجتمعات العربية بالتركيز فقط على مفاتيح ثلاث هي: القبلية والإسلام والحريم. مع السعي إلى مراجعة القوالب الجاهزة التي تُنَمِّط المرأة العربية بمراجعة هوية ذات المرأة باعتبارها ليست واحدة وثابتة بقدر ما هي متغيرة بتغير تعلقها محددات أخرى: عربية أو مسلمة أو بدوية أو مدينية أو متعلمة أو صاحبة فكر أو عمل أو أيديولوجيا. وقد بين الباحث عددًا من النتائج والتصحيحات التي أسفرت عنها دراسات أبو لغد الأنتروبولوجية، خاصة فيما يتعلق بالتمييز بين الخطاب المتداول عن إنقاذ المرأة الشرق أوسطية تحريرها والدفاع عنها من الزواية الغربية والحقائق السياسية والأيديولوجية الهيمينة التي تثوي وراء هذا الخطاب.

ولأن النقد لا يكتفي بالتوجه إلى الخطابات النظرية فقط، اتخذ الباحث "الحسن بيروك"، في دراسته الموسومة بـ"تحولات سياقات التعليم والتعلم في العصر الرقمي: النظام التربوي المغربي نموذجًا"، موقفا نقديًا قويًا اتجاه المنظومة التعليمية التقليدية بعناصرها وعلاقاتها، مبشرًا بعصر جديد من التعليم والتربية ميزته الأساسية الاعتماد على تكنولوجيا الإعلام والمعلومات. ويُفهَم من النتائج التي توصل إليها في هذه الدراسة أن إدخال تكنولوجيا المعلومات في التعليم ليس من جنس إدخال وسيلة مساعدة إلى الوسائل المعتمدة في التعليم فقط: بل هي، في نظره، ثورة تؤدي إلى تحولات كبرى في النظام التعليمي وجب العمل على استثمار آثارها. وهي تسير في نظره، إلى إعادة تشكيل مختلف مكونات العملية التعليمية التعلمية في المستويات المختلفة بحيث تكون إزاء تجربة في التعليم لم يسبق إليها أن عاشها الإنسان، بل يصل في استنتاجه إلى حد الإعلان عن موت وسائل وطرق التعلم والتعليم القديمة، موت القلم والورق والحوامل التعليمية الكلاسيكية والتواصل المباشر بين مكونات العملية التعليمية والفصول الواقعية أحيانًا، بل تقليص دور المدرس بعد وجود جاهزية للهجرة نحو الرقمي الافتراضي، رغم اعترافه بأن هذه التجربة لم تنضج بعد.

وقد تضمن محور مراجعة الكتب، اجتهادًا تلخيصيًا لكتاب صدر باللغة الهولندية بعنوان "هل هذا هو الإسلام حقًا؟ كيف أعيش مسلمًا أوروبيًا في الزمن المعاصر" لكاتبه "خالد بن حدو" تولاه الباحث التجاني بولعوالي، وقد توجه فيه إلى تحليل وتقويم دعوى الإسلام العقلاني الذي تبناه الكاتب وموقفه

من التيارات المختلفة التي تقدم نسفها باعتبارها ممثلًا للإسلام في أوروبا، بما فيها ما سمي بـ"الإسلام الأوروبي". وقد استعرض الكاتب أهم أفكار الكتاب مع التنبيه السريع على بعض الصعوبات والإشكالات التي يثيرها نقد الكاتب للتيارات الأخرى، خاصة في سياق أوروبي يتسم بالتعدد من جهة وبالسعي إلى استثمار الفرص لتحجيم الوجود الإسلامي بصيغ مختلفة.

وضمن محور مراجعات أيضًا ترجم الباحثان محمد مجدي السيد ومحمد عبد الرحيم أحمد مقالًا عن الفارسية للدكتور حسن أنصاري حول كتاب "النظامي في أصول الدين" المنسوب لابن فورك الأشعري، وقد استعرض فيه الكاتب مضامين الكتاب. كما ناقش فيه الخلاف حول نسبة الكتاب مع ترجيح أمر نسبته إلى حفيد ابن فورك وبيان مستندات هذا الترجيح.

وفي سياق التأكيد على الوظيفة النقدية للفلسفة، يستعيد الفيلسوف الفرنسي آلان باديو، في النص الذي ترجمه الباحث "عبد الفتاح السنون" بعنوان "الفلسفة والرغبة في الفلسفة"، التصور الأفلاطوني لوظيفة الفلسفة بما هي تفكير في المصير الجماعي. لقد أعاد فيه وصل الفلسفة والسعادة بالعدالة، باعتبار "الرغبة الفلسفية هي حقًا، وبشكل عام جدًا، رغبة في الثورة داخل الفكر وأيضا داخل ما هو جماعي أكثر مما هو فردي، وذلك بهدف تمييز السعادة الحقيقية عما يشبهها، الذي هو الإشباع. ليست الفلسفة الحقيقية تمرينًا مجردًا. لقد كانت دائمًا، منذ أفلاطون، تتوجه نحو لا عدالة العالم." وتتسم هذه الرغبة الفلسفية في أبعاد أربعة هي الثورة والمنطق والكونية والمخاطرة؛ وقد اعتمد باديو على أبعاد هذه الرغبة لنقد العالم الغربي باعتباره غير متوافقا مع مقتضياتها؛ لأنه يلاقيها بعراقيل أربعة هي: عهد السلعة، عهد التواصل، الكونية المالية ثم التخصص الإنتاجي والتقني. وعلى ضوء هذا، تولى "باديو" تقويم الاتجاهات الفلسفية الثلاث السائدة: التيار الفينومينولوجي والهيرمينوطيقي والتيار التحليلي والتيار ما بعد الحداثي، للكشف عن "كيف تتحدد أو تتطابق الرغبة في الفلسفة عند كل تيار ونتائجها المُبدِعة الممكنة في العالم الحقيقي".

وفي هذا العدد نطالع حوارًا نقديًا، في محور مداولات، الذي تفتح فيه المجلة بابها للتفاعل النقدي مع الدراسات الأخرى مع احترام حقوق المناظرة البناءة ودون تبني أي من الآراء المعبر عنها. يتمثل هذا الحوار في قراءة نقدية بعنوان "القراءة المذهبية للتاريخ العقدي: القدم

النوعي لصفة الكلام في المذهب الحنبلي أنموذجًا" للباحث " عبد الله الغِـزِّي " تولى فيها نقد الدراسة التي قدم بها "أحمد الغريب" لتحقيقه لنص "الطريقة الأثرية والعقيدة السنية" لصاحبه "عبد القادر بن يحيى أغا الضرير البصري"(ق. ١١هـ/١٧م). وقد آخذ فيها الباحث على المحقق عدم التزامه بشروط منهجية في دراسته للنص، خاصة من جهة بيان تأثير ابن تيمية على الحنابلة قبل الدعوة السلفية النجدية، التي ادعى فيها المحقق بأن قراءة ابن تيمية لصفة الكلام هي تصحيح عقدي لمذهب الحنابلة، وهو أمر اعترض عليه الباحث مستندًا إلى وجود تبسيط تاريخي للمذهب الحنبلي، يستدعي التساؤل عما إذا كان ما قام به ابن تيمية هو تصحيح فعلًا بالمقارنة مع الإشكالات التي طرحت في المذهب قبل ابن تيمية حتى إلى الإمام ابن حنبل نفسه، وينبع الإشكال المنهجي أساسًا من عدم الأخذ بعين الاعتبار الإشكالات المتعلقة بهذه المسألة تاريخيًا داخل المذهب الحنبلي. وقد أسند الباحث اعتراضه باستحضار لعدد من الإشكالات الشواهد.

ونختم هذا العدد بحوار ماتع مع الأستاذ الدكتور عبد اللطيف بوعزيزي رئيس جامعة الزيتونة حول التعليم العالي في الوطن العربي وآليات تطويره وآفاق الدرس الشرعي، وما يتعلق بذلك من حديث عن العلوم الشرعية والإنسانية وما بينها من تكامل.

نرجو أن يجد القارئ الكريم في هذا العدد ما يفيده ويمتعه، ناظرين إلى أفق يكون فيه النقد البناء وسيلة لتزكية المعرفة في المباحث المختلفة.